

تحليل استراتيجيات الخطاب الحجاجي حول القضايا الدينية الجدلية على يوتيوب

أ.م.د/ إسلام محمد عبد الرؤوف

أستاذ الإذاعة والتلفزيون المساعد

كلية الإعلام، جامعة الأزهر

eslam@azhar.edu.eg

ملخص:

في ضوء تشجيع منصات التواصل الاجتماعي للمحتوى الذي يلقى اهتمام المستخدمين ويحثهم على التفاعل والتعليق؛ ونظراً لأنه في العقد الأخير تعاضم المحتوى المرتبط بالدين من ناحية الحجم والانتشار وخصوصاً المحتوى الديني الجدلي، تسعى الدراسة إلى الكشف عن استراتيجيات الحجاج حول القضايا الدينية الجدلية على قنوات اليوتيوب، ورصد هيكلية بناء الحجج الجدلية وآليات تنفيذها ورصد تفاعل المستخدمين معها، وذلك بتحليل أهم القضايا الدينية الجدلية الأكثر تفاعلاً على منصة يوتيوب خلال عام ٢٠٢٢، حيث تستخدم الدراسة في ذلك أداة تحليل الحجاج. وتنتمي الدراسة إلى الدراسات الوصفية الكيفية التي تستهدف التعمق في فهم الخطاب الحجاجي الديني حول القضايا الدينية الجدلية على يوتيوب وتفسيرها، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، أهمها أن أكثر استراتيجيات الحجاج استخداماً كانت "سلطة الاحتجاج"، و"الاستمالات العاطفية"، كما توصلت إلى أن الادعاء في القضيتين الجدليتين محل الدراسة لم يركز على دعائم علمية قطعية الدلالة، وإنما اعتمد على أدلة تخضع للاستنتاج والتحليل المنحاز أكثر من كونها أدلة علمية غير مترابطة البناء، وقد استثمرت الحجة المضادة هذا البناء غير المترابط في عرض القضيتين الجدليتين لدحض الادعاء بالتدليل العلمي على عدم صحة الأطروحتين؛ مما عزز الهيمنة المعرفية Epistemological Hegemony لصاحب الحجة المضادة، ومكّنه من استمالة مشاعر المستخدمين وتعاطفهم، وهو ما أكدته تحليل اتجاهات تعليقات المستخدمين.

الكلمات المفتاحية: يوتيوب، الخطاب الديني، الجدل، القضايا المثيرة للجدل.

Abstract:

This study aims to investigate the argumentative strategies employed in discussions of controversial religious topics on YouTube channels. It analyzes the structure of the argumentative discourse, the methods of refutation used, and audience interactions with these arguments by examining the most engaging controversial religious issues on YouTube in 2022. The study employs argumentation analysis, a qualitative descriptive approach intended to deeply understand and interpret the religious argumentative discourse surrounding controversial issues on the platform. The key findings suggest that the most commonly used argumentation strategies were appeals to authority and emotional appeals. Furthermore, the claims made in the examined controversial issues were not grounded in definitive scientific evidence, but rather on biased inferences and analyses lacking coherent scientific support. The counter-arguments, in turn, leveraged this incoherent structure to scientifically disprove the claims, thereby reinforcing the epistemological dominance of the counter-arguments. This approach allowed the counter-arguers to sway user emotions and garner sympathy, as evidenced by the analysis of user comment trends.

Keywords: YouTube, Religious Discourse, Argumentation, Controversial Issues, Persuasion.

المقدمة:

في الوقت الذي اتسمت فيه المنصات الرقمية بحرية عرض الأفكار وتداولها بشكل غير مسبوق، تعرض مستخدمو تلك المنصات إلى موجات فكرية متنوعة لدرجة التضاد وصادمة لدرجة التطرف، وعلى الرغم من ارتباط التطرف بالاتجاهات المتشددة في الدين، فإن التطرف يشمل أيضًا بعض الأصوات اللادينية أو الإلحادية التي تعرض أفكارها بنبرة هجومية عدائية ليست أقل تطرفًا من الاتجاه الديني المتشدد؛ الأمر الذي يحول ساحة النقاش - في كثير من الأحيان - إلى حالة أشبه بالسجال الفكري المحترم وسط بيئة رقمية صممت الخوارزميات فيها للتباري في زيادة عدد المتابعين من خلال طرح الأفكار غير المألوفة.

وفي ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية الصعبة التي تمر بها المنطقة العربية وكثير من الدول الإسلامية، وعدم نجاح النظم الدينية في إحداث تقدم ملحوظ في كثير من الدول، إلى جانب الحروب والصراعات الإقليمية، بدأ كثير من المتابعين في طرح أسئلة حول الدين، بل انفتحوا أكثر على أصوات تشكك في موثوقية التراث الديني، وصولاً إلى التشكيك في الأحاديث الشريفة، والدعوة للاكتفاء بالقرآن، وامتد الأمر إلى التشكيك في القرآن نفسه وفي وجود خالق، أو وجوده مع الاختلاف حول عدالته وحكمته في تدبير أمور الخلق.

ولم تنشأ تلك الأفكار الجدلية من فراغ، بل تأثرت بأفكار طرحت في فترات زمنية سابقة، أقربها ما تم طرحه في الغرب من علماء أعلنوا عدم إيمانهم بوجود خالق؛ وبدأت أفكارهم وكتاباتهم تنتشر في السنوات الأخيرة، وأشهرهم ريتشارد دوكنز صاحب كتاب "خداع الإله" *The God Delusion* (2006) الذي يدعي فيه عدم وجود إله، وصنّفته *New York Times* (October 22, 2006) من أكثر الكتب مبيعاً؛ فقد باع أكثر من ثلاث ملايين نسخة حول العالم، وترجم إلى عدد كبير من اللغات، منها اللغة العربية، وأيضاً كتابه الشهير "الجين الأناني" *The Selfish Gene*، الذي يدافع فيه دوكنز عن نظرية التطور لداروين من منظور مادي منكر لوجود الخالق، وكذلك كتابات عالم الفيزياء ستيفن هوكينج، وغيرهما؛ الأمر الذي يقودنا إلى محاولة تفسير الظواهر الكونية بتفسيرات مادية تتجاهل فكرة الدين ووجود خالق للكون.

وفي المجتمعات العلمانية الغربية قد تمر تلك الأفكار من دون تأثير فكري بنيوي لدى المجتمع، على اعتبار أن الدين ليس متجذراً في الحياة اليومية للناس، بل إن تاريخ الغرب مع الدين يجعلهم يتقبلون بعض هذه الأفكار ولا تعد صادمة بالنسبة لهم، ففي الغرب بدأت النزعة

العلمانية المادية والتمرد على تغول سلطان الكنيسة على المجتمع العلمي في العصور الوسطى في أوروبا، ومع ظهور فلاسفة التنوير مثل Auguste Comte و David Hume، فقد زعم Comte أن الفهم الحقيقي للكون لا يكون إلا بالعلم المادي والتجربة الحسية (Wernick, 2000) فيما عرف بعد ذلك بـ "العلموية" Scientism، وأنه ما لا يمكن إثباته بالنظرية العلمية لا يمكن الإيمان به وتصديقه؛ ومن ثم فإن الدين بمساحاته غير المبرهنة هو مساحات لاهوتية ميتافيزيقية لا يمكن أن نبني عليها فهما حقيقيا للكون والحياة (Pickering, 2019)، وأنه مع تطور العلم وتقدمه سوف تتلاشى كل الأديان.

ولأن أساس التدين هو التسليم بعالم الغيب الذي لا تدرکه الحواس، فإن الجدل الديني عادةً ما ينشأ عند نقاش قضايا الغيب غير المحسوسة Supernatural والقضايا الوجودية المتعلقة بالروح والغاية من الخلق والحياة بعد الموت، التي هي أساس الأديان، لكنها غير مبرهنة وفقا للمنهج العلمي المادي؛ مما جعلها أرضا خصبة للجدل اللاهوتي، وأهدافا للتشكيك في موثوقية الدين في تفسير حقيقة الإنسان ومصيره، وقضايا العدل الإلهي والإرادة الحرة، وغيرها.

الإطار النظري ومراجعة التراث العلمي السابق:

نظرية الحجاج والجدل الديني:

اعتمدت الدراسة في تفسير ظاهرة الحجاج الديني على يوتوب من خلال نظرية الحجاج، التي طورها Chaïm Perelman (1958)، وتدرس النظرية هياكل واستراتيجيات الجدل، وتعد أداة مهمة لفهم كيفية مناقشة المعتقدات والعقائد الدينية والدفاع عنها والتواصل بها، وهذه المقاربة تفحص الخصائص الفريدة للحجاج الديني، مثل الاعتماد على النصوص العقائدية، والأدلة التجريبية والمنطق العقلي.

وغالبًا ما يستخدم الحجاج الديني استراتيجيات لغوية تهدف إلى التأثير على كل من العقل والعاطفة، بما في ذلك الاستشهاد بالسلطات الدينية، والتقاليد، والقيم الأخلاقية، بالإضافة إلى تقنيات السرد، مثل الأمثال والقصص والاستعارات (Erduran et al., 2022). كما تتنوع آليات الحجاج الديني اعتمادًا على القضية الدينية المطروحة للجدل، وتشمل الأشكال شائعة الاستدلال القائم على الفرضيات الدينية والاستدلال الاستقرائي من التجارب الدينية (Macagno et al., 2022) كما يتأثر الحجاج بالسياق الذي يتم فيه، ويشمل المعايير الثقافية، والقيم الاجتماعية، والأحداث التاريخية، وكل ذلك يؤثر في فاعلية الحجاج واستقبال الجمهور له.

ويرى البعض أن الحجاج الديني يواجه انتقادات تتعلق بمدى انسجامه مع العقلانية العلمانية، وغالبًا ما يتهم بالاعتماد على افتراضات غير قابلة للتحقق والتفكير المادي (Faust, 2008) كما أن له القدرة على زيادة الانقسامات الاجتماعية بسبب المعتقدات المستقرة، ومع ذلك، فإنه يمثل مساحة ثرية وتاريخية من الحجاج حول القضايا الجدلية، التي يتم فيها توسيع نطاق التحليل ليشمل المنظورات القائمة على الإيمان؛ مما يوفر رؤى حول كيفية استخدام أنواع مختلفة من الأدلة والمنطق لإقناع جماهير متنوعة.

الحجاج الديني على يوتيوب:

عزز انتشار منصات الإعلام الرقمي بشكل كبير مشهد الحجاج الديني، وتعد منصة يوتيوب المنصة المركزية لهذا الخطاب، وعلى الصعيد العالمي، أتاح يوتيوب وصولًا حراً إلى النقاشات الدينية؛ مما سمح لمجموعة واسعة من الأصوات بالمشاركة في تداولية الأفكار والتعبير عن الاتجاهات غير السائدة (Elsässer, 2021) وقد مكّنت هذه الحرية المجموعات التي لم تتح لها فرصة للتعبير أو الوصول للمعرفة أو تقديمها - من اكتساب الرؤية والمشاركة مع جمهور أوسع، لكنها أيضًا سهلت انتشار وجهات النظر المتطرفة والأفكار المغلوطة، وقد تعكس النقاشات الدينية على يوتيوب الاتجاهات والصراعات المجتمعية الأوسع، مع بروز موضوعات بارزة تشمل التطرف الديني، والعلمانية، والحوار بين الأديان.

وقد لوحظ في العقد الأخير أن قنوات الفكر الديني الحر أو القنوات اللادينية وصلت إلى عدد مشتركين بمئات الآلاف يتابعونها بانتظام، وتصل إلى جميع أنحاء العالم العربي، بل تمتد للناطقين بالعربية حول العالم، ووفقًا لـ Hofheinz (2011) فإن النقاشات النقدية على منصة يوتيوب تتضمن تحديًا للمعتقدات التقليدية، وتعزز وجهات النظر العلمانية. ويتيح هذا النوع من النشاط الرقمي للملحدين والمشككين التواصل مع متابعين لديهم تفكير مماثل؛ مما يخلق مجتمعًا افتراضيًا يتجاوز الحدود الجغرافية، بغض النظر عن الأصول المكانية لأصحاب الأفكار المطروحة (Elsässer, 2021).

وأكدت بعض الدراسات أن ارتفاع أعداد المشتركين نسبيًا في قنوات الفكر الديني الحر هو مؤشر على اهتمام مستخدمي اليوتيوب بمتابعة ما يُطرح من قضايا، بغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف، والبعض يعدها فرصًا للشباب للتفاعل مع القضايا الدينية ذات الصلة بحياتهم؛ مما يعزز الفهم المتعمق للخطاب الديني (Juergensmeyer, 2010).

وقد أسهمت خوارزميات منصة يوتيوب في انتشار الحجاج الديني، من خلال آليات تعزيز الوصول للمحتوى عبر استخدام الكلمة المنطوقة والنصوص والصور، إلى جانب الفيديوهات المباشرة، والعمل على زيادة التفاعل والتعليقات، والسعي نحو بناء زخم وانتشار للأشخاص مترجمي الجدل في القضايا المطروحة؛ مما خلق حالة ديناميكية، مثل النقاشات بين مستخدمي يوتيوب الملحدون ورجال الدين من المسيحيين والمسلمين، التي تولد تفاعلاً واسع النطاق مع المشاهدين وحواراً مستمراً.

ورأت بعض الدراسات أن مما يعزز ذلك في العالم العربي، طبيعة التعقيدات الاجتماعية والسياسية والدينية في المنطقة؛ حيث يستخدم القادة الدينيون والعلماء والنشطاء يوتيوب لمناقشة القضايا العقائدية وربطها بقضايا العدالة الاجتماعية، والعدل الإلهي، وكذلك ربط الدين بالتطرف والإرهاب وتجديد الخطاب الديني، وفي الوقت الذي يستخدم فيه المتشددون تلك المنصة للترويج لأفكار متطرفة، تستخدم الشخصيات الدينية المعتدلة المنصة نفسها لمواجهة السرديات المتطرفة وتعزيز التفسيرات الشاملة للإسلام (al-Rawi, 2016)، وأكدت دراسات أخرى أن منصة يوتيوب قد تسهل الحوار بين الأديان؛ مما يساعد في تقليل التوترات الطائفية وتعزيز الفهم المتبادل (Hoover, 2012).

وترى عدد من الدراسات أن الحجاج الديني في الخطاب الإعلامي بدأ في فترات مبكرة من الإسلام، فقد تعرضت دراسة عبدالنبي والصعيدي (٢٠٢٢) إلى جوانب الحجاج في أحد نماذج الحوار الإعلامي الإسلامي مع المخالفين، وهو حوار عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - مع الخوارج، ومعرفة كيفية توظيف ابن عباس لهذه العناصر الحجاجية في الحوار، وكذلك دراسة فارح (٢٠٢٢) التي سعت إلى الوقوف على الملامح الحجاجية لخطب الإمام علي في ضوء المقاربة التداولية والحجاجية.

وحاولت دراسة بوغازي وعامر (٢٠٢٢) تحليل النص من دون النظر إلى خلفية قائله والسياق الذي أنتج فيه النص، وفق فكرة موت المؤلف (Barthes, 2016)، ولكن لم تستطع الكثير من الدراسات التي تناولت تحليل الخطاب وتحليل الحجاج فصل النص عن قائله، بل إن فهم السياق وخلفية المتحدث يزيد التعمق في فهم دلالات النص.

كما يمثل الحجاج الديني في مصر حالة مثيرة للاهتمام بالنظر إلى تراثها الديني، ومؤسساتها الإسلامية والمسيحية ذات المكانة العالمية، ومشهداها الاجتماعي والسياسي المتنوع، فضلاً عن مكانة الدين لدى المصريين، فقد أصبحت لدى الكثير من الرموز التي تطرح قضايا

دينية جدلية على يوتيوب مكانة مهمة وقدرة على الوصول إلى جمهور واسع والمشاركة في نقاشات ديناميكية، فيها الآراء والآراء المقابلة، وهو ما أكدته دراسة (Abdelraouf, 2019)، وقد يكون ذلك بسبب وجود مؤسسة الأزهر في مصر، وهي أكبر مؤسسة إسلامية سنوية في العالم (عواد، ٢٠٢٠).

وفي الإطار ذاته، رصدت دراسة (٢٠٢١) استراتيجيات الحجج في المناظرات الإسلامية المقدمة عبر قنوات اليوتيوب، من خلال معرفة الموضوعات والقضايا الدينية المثارة في تلك المناظرات، والتعرف على مستوى التزام أطرافها بأداب وضوابط الحوار والمناظرة، مع رصد الأطر الاستراتيجية والمرجعية وعناصر الحجة والمعاني الاستهلامية والأساليب الإقناعية الأكثر استخداماً فيها، في حين ركزت بعض الدراسات على فهم تلك المناظرات التليفزيونية في ضوء السياق الثقافي والاجتماعي والسياسي، فقد ركزت دراسة الشربيني (٢٠١٩) على آليات توظيف استراتيجيات الإقناع في المناظرات التليفزيونية في قناة القاهرة والناس، ومدى تقديم طرفي المناظرة للحجج والأدلة والأساليب المقنعة للسيطرة على القضايا التي قد تثير الفكر الديني الاجتماعي والثقافي والسياسي في فترات ما بعد ٢٥ يناير، و ٣٠ يونيو، بالإضافة إلى التعرف على مدى الاتساق العام بين مضمون المفاهيم التي تناولها المتناظرون ومدى تناقضها.

كما اهتمت بعض الدراسات بتوظيف أداة تحليل الحجج في تحليل مقالات الصحف التي تناقش تجديد الخطاب الديني، مثل دراسة عواد (٢٠٢٠) التي ركزت على تحليل استراتيجيات الحجج الأكثر استخداماً لدى كُتّاب المقالات في الصحف المصرية حول الخطاب الديني. وتتمحور النقاشات في السنوات الأخيرة حول التراث الديني والجدل بين القديم والجديد، وطرح قضايا مجتمعية، مثل حقوق المرأة، ودور الشريعة الإسلامية في الحكم، وتفسير النصوص الدينية في العصر الحديث، وتعكس هذه النقاشات غالباً الصراعات والطموح المجتمعية الأوسع؛ حيث يعمل يوتيوب بصفته ساحة معركة للدفاع والتعبير عن الهوية المصرية بعد حراك سياسي واجتماعي في العقد الأخير، ومن أهم المؤسسات الحاضرة في القضايا الدينية الإسلامية مؤسسة الأزهر الشريف، التي أوكل لها النظام المصري مسؤولية تجديد الخطاب الديني ومحاربة الفكر المتطرف.

وفي الوقت الذي رأته فيه بعض الدراسات أن حرية تداول الأفكار الدينية على منصة يوتيوب تمثل فرصة لم تكن موجودة من قبل، فإن ذلك يطرح تحديات تتعلق بانفتاح المنصة على المحتوى المتطرف الذي يمكن أن ينتشر جنباً إلى جنب مع الفكر المعتدل (بحيري،

(٢٠٢٢)؛ مما يشكل خطرًا على المجتمعات، وذهب البعض الآخر إلى طرح تحدٍ مرتبط بسلطة المنصات وتدخل برمجتها في تقييد محتوى معين؛ حيث ذهبت بعض الدراسات إلى أن المنصات الرقمية تحكمها أيضا أجنادات ترتبط بسياسات واقتصاديات من يملكها (Apuke, 2016).

ورغم هذه التحديات، فإن يوتيوب يظل منصة حيوية للحجاج الديني، يسمح بتنوع الأصوات والمناظير؛ مما يعزز خطابًا دينيًا أكثر شمولية وديناميكية، ومع زيادة الوصول إلى الإنترنت وتحسن الوعي الرقمي، فإنه من المحتمل أن يزداد دور اليوتيوب في تشكيل النقاشات الدينية بشكل أكبر في المستقبل.

مشكلة الدراسة:

بعد استعراض التراث العلمي السابق، وإجراء الدراسة الاستطلاعية التي يأتي تفصيلها عند الحديث عن عينة الدراسة، لاحظ الباحث أن الجدل الديني يحظى باهتمام كبير لدى مستخدمي منصات التواصل الاجتماعي وخصوصًا منصات الفيديو وفي مقدمتها يوتيوب، وقد شهدت السنوات الأخيرة سجالات ومناظرات كثيرة حول قضايا دينية جدلية متنوعة، وفي ضوء ذلك، تسعى الدراسة الحالية لـ "رصد وتوصيف استراتيجيات الحجاج حول القضايا الدينية الجدلية على قنوات اليوتيوب، ورصد هيكلية بناء الحجج الإقناعية في القضايا الجدلية محل الدراسة، من خلال تحليل الفيديوهات الأكثر تفاعلاً على منصة يوتيوب خلال عام ٢٠٢٢، وذلك باستخدام أداة تحليل الخطاب الحجاجي، وكذلك رصد اتجاهات تعليقات المستخدمين على طرح القضيتين الجدليتين موضوع الدراسة".

أهمية الدراسة:

ترتكز أهمية الدراسة على ما يأتي:

- محاولة فهم كيفية تقديم الخطاب الديني في القضايا الجدلية على منصة يوتيوب، مع تسليط الضوء على طبيعة الحجج الدينية الإقناعية واستراتيجيات الحجاج المستخدمة، مع تحليل تفاعل الجمهور، وبذلك، توفر فهمًا أشمل حول كيفية تشكيل الرسائل الدينية على المنصات الرقمية ونشرها.
- قد تساعد الدراسة علماء الدين في فهم أنواع الحجج والنقاشات السائدة على يوتيوب، وخصوصًا القضايا التي تثير الجدل والتفاعل؛ مما يوفر أساسًا لحوار أعمق داخل المجتمعات الدينية.

- قد تسهم الدراسة في إثراء الأدبيات المتعلقة بالمنصات الرقمية والدين والحجاج؛ لتقديم تحليل شامل للخطاب الديني على يوتيوب، ويمكن أن تمهد نتائج هذه الدراسة الطريق لبحوث مستقبلية في المجالات ذات الصلة؛ الأمر الذي يشجع على المزيد من الاستكشاف للتقاطع بين المنصات الرقمية والدين.

منهج الدراسة ونوعها:

تنتمي الدراسة إلى الدراسات الوصفية الكيفية المهمة بالتحليل النوعي للخطاب، واعتمدت على أداة تحليل الحجاج لرصد استراتيجيات الحجاج المنطقية والعاطفية بشأن القضايا الدينية على يوتيوب خلال عام ٢٠٢٢؛ وذلك للكشف عن أبرز الأطروحات وطبيعة بنائها، واستراتيجيات الحجاج المستخدمة، والاستراتيجيات البلاغية التي تم الاعتماد عليها لإقناع المتابعين، وكذلك اتجاهات تعليقات المستخدمين.

أهداف الدراسة:

تستهدف الدراسة تحقيق الأهداف الآتية:

- الكشف عن هيكلية بناء الخطاب الحجاجي في القضايا الدينية الجدلية على منصة يوتيوب في الفيديوهات محل الدراسة.
- رصد استراتيجيات الحجاج المستخدمة في الأطروحتين الجدليتين في الفيديوهات محل الدراسة؟
- توصيف اتجاهات تعليقات المستخدمين على الفيديوهات التي تناولت القضيتين الدينيتين الجدليتين موضوع الدراسة؟

تساؤلات الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما هيكلية بناء الحجاج في الأطروحتين الجدليتين على منصة يوتيوب في الفيديوهات محل الدراسة؟
- ما استراتيجيات الحجاج المستخدمة في الأطروحتين الجدليتين في الفيديوهات محل الدراسة؟
- ما الأساليب البلاغية المستخدمة في طرح القضيتين الجدليتين في الفيديوهات محل الدراسة؟
- ما اتجاهات تعليقات المستخدمين على الفيديوهات التي تناولت القضيتين موضوع الدراسة؟

العينة:

تقوم الدراسة بتحليل الفيديوهات التي تناولت أكثر قضيتين دينيتين أثارت جدلاً واهتماماً على يوتيوب خلال عام ٢٠٢٢، وقد رأى الباحث أن فترة عام تُعد فترة كافية لرصد حالة الجدل الديني على يوتيوب، كما اتسم هذا العام تحديداً بطرح عدد من القضايا الدينية الجدلية التي لاقت تفاعلاً من مستخدمي منصات التواصل الاجتماعي، وقد قام الباحث برصد هذا القضايا واختيار العينة بناء على دراسة استطلاعية يأتي تفصيلها فيما يلي:

الدراسة الاستطلاعية:

قام الباحث بإجراء دراسة استطلاعية لتحديد العينة المناسبة من الفيديوهات على يوتيوب التي سيتم تحليلها، وتحديد القنوات والفيديوهات التي حظيت بأعلى نسبة تفاعل ومشاهدة خلال عام ٢٠٢٢، من خلال ما يأتي:

- تحديد القنوات والفيديوهات الأكثر مشاهدة وتفاعل على يوتيوب والتي تتناول القضايا الدينية الجدلية.
- تحليل نوعية ومحتوى التعليقات؛ لمعرفة مدى التفاعل والاستجابة من الجمهور.
- تقييم مدى تنوع الموضوعات المطروحة في الفيديوهات.

إجراءات الدراسة الاستطلاعية ونتائجها:

- تم استخدام كلمات مفتاحية ذات صلة مثل "جدل ديني"، "الشبهات"، "الإلحاد"، "العلم والدين"، للبحث عن الفيديوهات على يوتيوب.
- حُدِدَت الفيديوهات التي تناولت قضايا دينية جدلية وحصلت على أعلى نسبة مشاهدات وتعليقات، وذلك خلال عام ٢٠٢٢؛ مما يعكس اهتمام الجمهور الكبير بها، وتم اختيار القضايا الدينية الجدلية المبنية على إثارة شبهة حدثت فيها مواجهات حجاجية بين طرفين، وتم استبعاد الفيديوهات التي تناقش موضوعات دعوية لا تقوم على تناول شبهات أو تفنيد ادعاءات دينية جدلية.
- تم اختيار عينة أولية من خمسة فيديوهات بناءً على عدد المشاهدات، والإعجابات، والتعليقات. انظر الجدول (١)
- بناءً على نتائج الدراسة الاستطلاعية، تم اختيار قضيتين لتحليلهما بشكل أعمق، باستخدام أداة تحليل الحجاج، وتم تتبع الفيديوهات التي تناولتها، وقد تم اختيارها بناءً على المعايير الآتية:

أ. الانتشار والتفاعل: الفيديوهات التي حظيت بأعلى نسبة مشاهدات وتعليقات؛ مما يعكس مستوى عالياً من التفاعل والاهتمام من الجمهور، كما تم الاعتماد على رصد الموضوعات الأكثر تداولاً خلال عام ٢٠٢٢ على منصة Google Trends لعام ٢٠٢٢ أثناء فترة الدراسة.

ب. الجدلية: الفيديوهات التي أثارت جدلاً ونقاشاً واسعاً بين المتابعين؛ حيث تم اختيار القضيتين الأعلى تفاعلاً على منصة يوتيوب، التي حصلت أكثر من ٢٠٠٠ تعليق وعدد مشاهدات يتراوح أو يقترب من ٤٠٠ ألف مشاهدة كما هو موضح بالجدول (١)؛ مما يعكس اهتمام مستخدمي منصات التواصل الاجتماعي بمتابعة هاتين القضيتين محل الجدل خلال فترة الدراسة.

جدول (١) يوضح أبرز الفيديوهات التي طرحت قضايا دينية جدلية على يوتيوب خلال عام

٢٠٢٢

العدد	عنوان الفيديو	القضية الجدلية	حجم التفاعل		
			المشاهدات	التعليقات	الإعجاب
1	القرآن مأخوذ من اللغة السريانية	القرآن مؤلف بشري وليس كلام الله	391K	2800	20K
2	المسلم في ٢٠٢٢ مش محتاج أي رجل دين أو شيخ في حياته	المعراج	301K	3800	2100
	اختراع شخصية النبي محمد	بشرية القرآن	380K	661	4600
3	حديث المرأة الجونية	عدم صحة أحاديث البخاري	313K	1600	19K
4	لماذا ينكر إبراهيم عيسى المعراج؟	المعراج لم يحدث	412K	2112	22K

وقد تتبعت الدراسة القضايا الجدلية بغض النظر عن القناة التي تناولتها، وتبين أن تلك القضايا التي تم تحليلها كانت مطروحة على عدد من القنوات على منصة يوتيوب، وتكررت قناة الشيخ عبدالله رشدي في نتائج الدراسة الاستطلاعية، وهي قناة متخصصة- في الغالب- في الرد على الأطروحات الدينية الجدلية والشبهات، وقد اشتهر عبدالله رشدي على منصات

التواصل الاجتماعي بعد مناظرته الشهيرة مع الباحث إسلام بحيري، وذلك بتفويض رسمي من الأزهر الشريف^(١)، وقد تبين من الدراسة الاستطلاعية أن أبرز الشخصيات المرتبطة بطرح القضايا الجدلية على اليوتيوب في فترة إجراء الدراسة هم: إبراهيم عيسى، وإسلام بحيري، وحامد عبدالصمد.

واستقرت الدراسة على تحليل أربعة فيديوهات تناولت أكثر قضيتين انتشارا وتفاعلا في عام ٢٠٢٢، وهما قضية "بشرية القرآن" وقضية "المعراج"، وقد تم نشرها على ثلاث قنوات على يوتيوب، هي قناة القاهرة والناس، وقناة Hamed TV وقناة عبدالله رشدي abdullah rushdy، ويوضح جدول (١) أنها الفيديوهات الأكثر تفاعلا ومشاهدة، وفقاً لنتيجة الدراسة الاستطلاعية.



شكل (١) يوضح الفيديوهات التي تناولت القضيتين الدينيتين الجدليتين الأبرز عام ٢٠٢٢

أداة جمع البيانات:

تستخدم الدراسة أداة تحليل الحجج Argumentation Analysis Tool التي طورها عدد من العلماء أشهرهم Stephen Toulmin (1958)، وقد وجدها الباحث الأداة الأنسب لتحليل استراتيجيات الحجج الديني على يوتيوب، وتوصيف بناء الأطروحات الدينية الجدلية المقدمة خلال فترة الدراسة، من ناحية الادعاءات الرئيسية، والأدلة الداعمة، والحجج المضادة،

^١ انتدب الأزهر الشريف الشيخ عبدالله رشدي لمناظرة الباحث إسلام بحيري على خلفية الشبهات التي طرحها في برنامجه، وتمت المناظرة في برنامج القاهرة ٣٦٠ على قناة القاهرة والناس، الذي يقدمه الإعلامي أسامة كمال، وأذيعت الحلقة بتاريخ الخامس من إبريل ٢٠١٥، وتابع هذه المناظرة ملايين المشاهدين، وقد بلغ عدد المشاهدات على أحد فيديوهات المناظرة على منصة قناة القاهرة والناس على يوتيوب أكثر من ثلاثة ملايين مشاهدة.

والاستراتيجيات البلاغية التي يستخدمها منشئو المحتوى والمعلقون في النقاشات الدينية المثيرة للجدل"، وتقوم الأداة بتحليل كفي لخطاب الحجاج وفقاً لنموذج Toulmin كما يأتي:

• **بناء الحجاج: Argument Structure**

- الادعاء: التأكيد الرئيسي أو الأطروحة المقدمة في الحجة.
- الأدلة: البيانات، أو الاقتباسات، أو الأمثلة، أو المنطق المستخدم لدعم الادعاء.
- الحجج المضادة: وجهات النظر المعارضة أو الاعتراضات المطروحة ضد الادعاء.
- التنفيذ: الاستجابات للحجج المضادة التي تدافع عن أو تقوي الادعاء الأصلي.

• **استراتيجيات الحجاج: Argumentative Strategies**

- سلطة الاحتجاج: الاستشهاد بالنصوص الدينية، مثل القرآن أو الحديث، أو أقوال علماء موثوقين لدعم الحجة.
- الاستمالات العاطفية: استخدام اللغة العاطفية أو الحكايات لاستمالة الجمهور.
- التمثيل: رسم أوجه الشبه بين المفاهيم المختلفة لتوضيح الحجة أو تقويتها.
- المنطق العقلي: استخدام الاستدلال الاستنتاجي أو الاستقرائي لبناء حجة متماسكة.

• **الأساليب البلاغية: Rhetorical Devices**

- الاستعارات: وتشمل التشبيهات والاستعارات التي تقرب المعنى.
- القصص: القصص أو الحكايات الجاذبة التي يصل بها المعنى.
- الأسئلة البلاغية: الأسئلة التي تُطرح لإثارة التفكير لدى المتابعين.

نتائج التحليل:

يعرض الباحث نتائج الدراسة التحليلية وفقاً للقضايا الدينية الجدلية التي تناولتها الفيديوهات على قناة اليوتيوب، وتم تحديدها في الجدول (١) وهي:

أولاً: تحليل الخطاب الحجاجي لقضية بشرية القرآن على منصة يوتيوب:

فيما يتعلق بالسياق العام لطرح قضية بشرية القرآن على يوتيوب، نجد أنها أحد أبرز القضايا الجدلية التي يروج لها بعض اللادينيين لإبطال فكرة الإعجاز الإلهي؛ لأن المعجزة يترتب عليها وجود خالق، وهي فكرة تتنافى مع الاعتقاد الإلحادي واللاديني بعدم وجود خالق للكون؛ وبالتالي لا يوجد ما يُعرف بالكتب السماوية التي نزلت على أنبياء، وأن الكتب السماوية من تأليف البشر وليست كلام الخالق؛ حيث لا يوجد خالق وفقاً لأرائهم، وقد تم طرح تلك القضية الجدلية في الفيديو محل الدراسة الذي تم نشره بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠٢٢

على قناة عبدالله رشدي، وكان ذلك ردًا على ادعاءات الباحث حامد عبدالصمد^(٢)، الذي يقول عن نفسه بوضوح أنه لا يعتقد بوجود خالق^(٣) (Abdel-Samad, 2017, Jun 10)، وقد نشر لاحقًا فيديو على قناته على يوتيوب Hamed TV يطرح فيه ادعاء بأن القرآن والنبي كلها اختراعات بشرية ولا علاقة لها بالسماء، وحققت الحلقة أكثر من ٣٢٠ ألف مشاهدة وقدرا كبيرا من التفاعل^(٤)، وأعيد طرح القضية في عام ٢٠٢٢ ضمن أكثر القضايا المتداولة على منصات التواصل الاجتماعي ومحركات البحث، وقام عبدالله رشدي بتخصيص حلقة على قناته لتفنيد تلك الشبهة، وبلغ عدد مشاهدات تلك الحلقة وقت إجراء الدراسة ٣٩١ ألف مشاهدة، وتفاعل معها نحو عشرين ألف مستخدم، إلى جانب ٢٨٠٠ تعليق.



شكل (٢) يوضح صورة غلاف الفيديو thumbnail المستخدم في قضية بشرية القرآن وأظهرت النتائج باستخدام أداة تحليل الحاجاج، ما يأتي:

أحمد عبدالصمد، باحث مصري ألماني مقيم في ألمانيا، متخصص في الشؤون الإسلامية من منظور نقدي، درس الإنجليزية والفرنسية في جامعة عين شمس بالقاهرة، ثم درس العلوم السياسية بجامعة أوجسبرج في ألمانيا، ثم عمل في منظمة اليونيسكو خبيراً تربوياً، كما عمل مدرسا للدراسات الإسلامية بجامعة إيرفورت الألمانية، ثم مدرسا للتاريخ الإسلامي في جامعة ميونخ بألمانيا (Elsässer, 2021) ولديه قناة على اليوتيوب باسم Hamed.Tv يتابعها مائتا ألف مشترك، كتب في تعريفها: "قناة تنويرية تبحث في التاريخ والحاضر، تحترم عقول المشاهدين وتشجعهم على استخدام عقولهم".

3 See: Hamed Abdel-Samad. (2017, Jun 10). [Video]. YouTube. <https://www.youtube.com/watch?v=HwuhnZten34&t=77s>.

4 See: Hamed Abdel-Samad. (2015, February 10). (برنامج صندوق الإسلام - حامد عبد الصمد: الحلقة). [Video]. YouTube. <https://www.youtube.com/watch?v=CnPZO1cczKA>

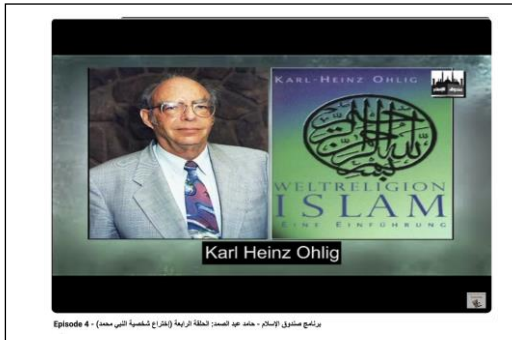
أ. هيكلية بناء الخطاب الحجاجي:

- الادعاء: قدم حامد عبدالصمد ادعاء أن القرآن تأليف النبي محمد، وأنه ليس كلام الله، كما أنه مأخوذ من اللغة السريانية.

- الأدلة: دلل حامد عبدالصمد على ادعائه بمثال عن عدد مرات ذكر اسم "محمد" في القرآن مقارنة بأسماء بقية الأنبياء، وباستحضار آيات من القرآن الكريم، وأرقام محددة تدعم ادعائه: " كلمة محمد في القرآن لم تذكر إلا أربع مرات فقط.. منها "ماكان محمد أبا أحد من رجالكم" و "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار" و "الذي نزل على محمد" عدد صغير جدًا من المرات التي ذكر فيها اسم محمد مقارنة بعبسى هتلاقيه ٢٦ مرة.. لو لقيت موسى هتلاقيه ١٣٦ مرة .. إبراهيم ٦٩ مرة.. يعني عدد هائل من المرات اللي ذكر فيهم الأنبياء كلهم في القرآن.. إلا محمد! طب ليه؟ إيه الغياب دا؟!".

كما تطرق حامد عبدالصمد إلى الأصل اللغوي لكلمة "محمد" وأنها ليست عربية الأصل، وإنما سريانية، وقد يفهم من ذلك أن القرآن ليس بلسان عربي مبين كما هو ثابت، وإنما مقتبس من شرائع سابقة، وفيه شبهة أنه منتج بشري: "المفاجأة بأه إنهم يكتشفوا إن كلمة محمد كلمة سريانية.. وكلمة كان يستخدمها المسيحيون العرب لتمجيد السيد المسيح.. يعني صفة مش اسم.. إنهما يقولوا محمد بن الله.. أو محمد عبدالله.. كلمة عبدالله دي مصطلح مسيحي.. مش الإسلام اللي اخترعه ولا حاجة.. محمد يعني اسم تمجيدي معناه المختار أو المصطفى، ومعروف أن تطور اللغات اشتقت فيه اللغة العربية من اللغة السريانية واللغة الآرامية".

وقد تم استخدام بعض الأساليب الفنية المرئية في عرض الأدلة على الادعاء، مثل صور لعملات معدنية في عهد عبدالله بن الزبير، وصور لغللاف كتاب لأحد الكتاب المستشرقين Karl-Heinz Ohlig، الذي يطرح الحجة نفسها محل الجدول.



شكل (٣) يوضح الصور التي استخدمها حامد عبدالصمد في الحلقة للتدليل على الادعاء

ويشير حامد عبدالصمد هنا إلى أن القرآن فيه كلمات غير عربية؛ مما يدل على أنه مقتبس من لغات غير عربية وأنه تأليف النبي محمد، وهذا ليس كلامًا يطرحه حامد عبدالصمد لأول مرة، وإنما هو ادعاء طرحه أكثر من مرة، ومنها في حلقة بعنوان "حامد عبد الصمد: بشرية القرآن"، التي خصصها للحديث عن أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله، ولا شك أن تلك الشبهة أيضًا قديمة وذكرها القرآن نفسه في قول الله - تعالى -: **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**.

- الحجج المضادة:

في الفيديو المعنون بـ "القرآن مأخوذ من اللغة السريانية" يرد فيه عبدالله رشدي على ادعاء حامد عبدالصمد، وكانت الحجة المضادة هي: أن القرآن كلام الله وأنه نزل بلسان عربي، وأن ادعاء أنه من تأليف البشر ومقتبس أو منتحل من اللغة السريانية إنما هو ادعاء غير صحيح وينم عن عدم معرفة.

بدأ عبدالله رشدي بالرد على الحجة الأولى التي استخدمها حامد عبدالصمد التي تتعلق بعدد مرات ذكر النبي محمد في القرآن، وقضية ذكر اسمه في القرآن المكي أو المدني؛ حيث ركز عبدالله رشدي على انفكاك الصلة بين هذا الطرح وكون القرآن منزلاً من عند الله، وأن هذه الأطروحة الجدلية لا تثبت بشرية القرآن أو أنه من تأليف بشر، ثم انتقل بعدها لطرح حجة مضادة لادعاء أن اسم محمد ليس عربياً، وإنما هو من أصل سرياني حاله حال كلمات كثيرة في القرآن.

- التنفيذ:

- **الترابط المنهجي في أطروحة الادعاء:** ركز عبدالله رشدي على بيان عدم منهجية الربط بين الادعاء والنتيجة، وبدأ ببيان أن صاحب الشبهة ضعيف الحجة؛ حيث إنه لا يجيد قراءة القرآن قراءة صحيحة، فكيف يفهم لغته؟! "مينفعش تعمل نفسك عالم علامة وراجل بتنتقد وتتصفح الجوانب اللغوية في القرآن وانت مبتعرفش تقرا الآيات بتاعته عيب".
- ثم جاء التنفيذ الآتي المتعلق بالاستدلال بعدد مرات ذكر اسم محمد في القرآن، محاولاً السخرية من طريقة الطرح وعدم الربط المنطقي بين المقدمات والنتائج، وأن هناك التفافاً غير مباشر للوصول لنتيجة معروفة سلفاً: "ما الإشكال في أن اسم

سيدنا محمد ذكر أربع مرات فقط؟ .. هل هناك معيار علمي يقول أنه بما أن اسم سيدنا محمد ذكر أربع مرات فقط يبأه الكتاب دا باطل.. هل في معيار علمي يقول كده؟ .. هذا هو معيار الأستاذ حامد عبدالصمد.. هو قاعد قدام الكاميرا وعمال يتجلى.. دي تجليات .. الكلام اللي انت بتقوله دا لا علاقة له بالعلم.. الخلاصة أنا عارفكم عاوزين توصلوا لده في النهاية.. إنت عاوز تقول بما إن اسم محمد لم يذكر في القرآن المكي ولكنه ذكر في القرآن المدني.. إذن القرآن دا مؤلف.. منتحل.. مصنوع صنع بشري.. أيوه فين الربط بين التحريف وبين ذكر اسم النبي في القرآن المكي".

● **أطروحة الأصل اللغوي لكلمة "محمد":** انتقل عبدالله رشدي لتفنيد ادعاء الأصل اللغوي لكلمة محمد، واتبع أسلوبًا ساخرًا من عدم معرفة صاحب الأطروحة باللغة العربية، وبدأ بسؤاله عن الفرق بين الاسم والصفة، في محاولة لإثبات الجهل وعدم الدراية لدى الطرف الآخر، وقد بين أن أصل كلمة "محمد" عربي، وحتى إن كانت كلمة معربة فهي صارت عربية ويستخدمها العرب، وأن الادعاء بأنها ليست عربية هو ادعاء غير صحيح، موضحًا الجذر اللغوي والاشتقاق الصرفي لها: "طب فكرت تتعب نفسك وتقولنا برده الفرق بين الاسم والصفة إيه؟ أظن إنت متعرفش.. بس خليني أقولك.. كلمة محمد دي الأصل بتاعها "التحميد"، والفعل "حمّد"، ومحمد دا اسم مفعول.. يعني الذي حُمِد كثيرًا.. ومحمد بكسر الميم هو الإنسان الذي يقوم بالتحميد.. فهذه الكلمة لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالهندوسية ولا بالطاطسائية.. وإنما هي خاضعة لجذر لغوي من أصل مادة الحاء والميم والذال.. بس".

● **اعتماد الادعاء على معلومات مغلوطة:** بيّن عبدالله رشدي أن هناك معلومة أساسية خاطئة في طرح حامد عبدالصمد فيما يتعلق بأن اللغة العربية ليست أقدم اللغات وأنها مأخوذة من كل من اللغتين السريانية واللغة الآرامية؛ حيث وضّح رشدي أن اللغة العربية هي أقدم اللغات المنطوقة، وأن السريانية هي نفسها اللغة الآرامية، وأن كلتا اللغتين العربية والسريانية من اللغات السامية، وأنها مستقلة عنها وليست فرعًا أو مشتقة منها، وأورد مصدرًا محايدًا يؤكد أن اللغة العربية هي أقدم

وأغنى اللغات السامية: "في كتاب اللمعة الشهية نحو اللغة السريانية المؤلف اسمه أب إقلميس يوسف داوود.. واحد مسيحي مش مسلم.. بيقولك إيه.. وإنما ذكرنا العربية أولاً بين اللغات السامية لأن العربية باعتراف جميع المحققين هي أشرف اللغات السامية من حيث هي لغة وأغناهن وأقدمهن.. ومعرفتها لازمة لمن يريد أن يتقن تقاناً حسناً سائر اللغات ولا سيما السريانية" .. بل إننا نثبت مع المحققين أن اللغة العربية هي التي تقرب إلى أم اللغات السامية أكثر من أخواتها."

- **طرح الشكوك في مشروع صاحب الادعاء:** ختم رشدي الفيديو بطرح فكرة أن هناك جهات تقف وراء حامد عبدالصمد وكل المشككين في الدين والمثييين للشبهات حتى يظهروا للناس على أنهم مجددون، وهم في حقيقة الأمر لا يفقهون ولا يعلمون: "أنا عاوز أوضح ليك يا أستاذ حامد وللناس اللي بتتابعك والناس اللي بتتابعني إن انتو معندكمش دراية.. انتو مش عارفين حاجة.. ومعلوماتكم عن الإسلام ضعيفة.. عارفين عنه قشور.. وبتطلعوا للأسف في برامج بينفق عليكم ويصرف عليكم بكل قوة وبكل دعم علشان تظهروا للناس على أنكم مجددون.. وحضراتكم مش عارفين أي حاجة".
- ب. **استراتيجيات الحجاج المستخدمة:**

استخدم كل من طرفي الحجاج في طرح القضية عددًا من استراتيجيات الحجاج

- **سُلطة الاحتجاج:** تم الاحتجاج بنصوص من القرآن ومن كتب العلماء، وقد ودرت النصوص القرآنية على لسان طرفي الحجاج؛ كون القضية الجدلية مرتبطة بالقرآن ذاته.
 - أ. القرآن الكريم: استحضر حامد عبدالصمد آيات قرآنية للتدليل على قلة عدد مرات ذكر لفظ "محمد" في القرآن مقارنة بذكر أسماء الأنبياء الآخرين، ومنها الآيات: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ" و "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ"، وكذلك قول الله " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ".

ب. الاستشهاد بمراجع علمية: لجأ عبدالله رشدي لسُلطة المصادر العلمية عندما استخدم علوم اللغة والقواعد النحوية والصرفية لتفنيد حجة عبدالصمد فيما يتعلق بأصل كلمة "محمد"؛ حيث

أظهر على الشاشة أثناء الشرح صورة توضح جذور الكلمة واشتقاقاتها مع الضبط بالشكل؛ ليبين للمشاهد أن الكلام ذو أساس علمي منهجي مستقر في علوم اللغة، انظر شكل (٣).



شكل (٣) يوضح استخدام عناصر مرئية لتدعيم الحجة المضادة علمياً

كذلك عرض رشدي كتاباً تراثياً يتحدث عن قدم اللغة العربية مقارنة باللغة السامية، وهو كتاب عنوانه "اللعنة الشهية نحو اللغة السريانية" للمؤلف إقليميس يوسف داود (الموصلي، ١٨٧٩)، ووضع على الشاشة أثناء حديثه صورة من النص المقتبس من المرجع العلمي، وكذلك بيانات الكتاب والمؤلف، في تأكيد منه لحجية الكلام وموثوقية الطرح.

- الاستمالات العاطفية:

تظهر أهمية الاستمالات العاطفية عند النقاشات الدينية وخصوصاً في القضايا الجدلية؛ مما يكسبها زخماً وتفاعلاً من المتابعين، فالقضايا الدينية تلمس عواطف المجتمع، لا سيما في المجتمعات العربية، وقد استخدم كل من طرفي الجدل استراتيجيات الاستمالات العاطفية على النحو الآتي:

- استخدم رشدي أكثر من آلية لاستمالة المشاعر بدءاً من صورة غلاف الفيديو thumbnail مكتوب عليها بخط كبير وجاذب للانتباه عنوان "رسول الإسلام خرافة وليس حقيقة"، وهذا يكفي لاستمالة مشاعر المسلمين نحو حبهم للنبي ورغبتهم في الدفاع عنه وبغضهم لكل من يهاجمه أو ينال منه، ويرى الباحث أن ذلك فيه أيضاً محاولة لتحقيق نسبة مشاهدات عالية للفيديو الذي يرتبط بأهم شخصية في الإسلام، انظر شكل (٢).

- حاول حامد عبدالصمد أن يثير شعور الفضول لدى المشاهدين من خلال تعبيرات وجهية وطريقة الأداء الصوتي، واستخدام عبارات تدل على أن هناك شيئاً غامضاً غير معروف حين

تساءل: 'يعني مكة منكرتش حاجة اسمها محمد خالص.. ليه؟ برده لغز غير عادي.. إيه الغياب د!'.
 -

خاطب رشدي مشاعر المتابعين عبر حرصهم على القرآن الكريم، عندما وجّه عبدالصمد لقراءة القرآن بشكل صحيح تعليماً على خطأ في قراءة آية، قائلاً: "الله يسترك تقرأ القرآن الكريم صح"، وفي ذلك استمالة لعواطف المسلمين نحو الإعلاء من مقام القرآن وتوقيره، والنظر بشكل سلبي للطرف المقابل في الحجاج.

- استخدم عبدالصمد عنصر التشويق لجذب انتباه المشاهدين وتوجيه مشاعرهم نحو ما يُقال، حين استخدم تعبيرات لفظية مثل: *المفاجأة بأه إنهم يكتشفوا إن كلمة محمد كلمة سريرية*."

- أشار رشدي إلى أن هناك جهات تمويل تقف وراء من ينتقد الدين ويثير الشبهات، وأن هناك مؤامرة تقف وراءها جهات تنفق ببزخ لهدم ثوابت الدين، وهذا طرح يجد صداه لدى عاطفة الكثير من المتابعين.

- التمثيل في الخطاب:

استخدم طرفا الحجاج ضرب الأمثلة لتقريب المعنى بصفته إحدى استراتيجيات الحجاج المستخدمة لتقوية الحجة وتوضيح الاستدلال، وتمثلت أبرز الأمثلة التي أظهرتها نتائج التحليل في ما يأتي:

- استخدم عبدالله رشدي ضرب الأمثلة لتقريب الصورة للمشاهد، حين تحدث عن المسلمات العقلية والمسلمات الشرعية، حين أشار لغياب الربط بين طرح عبدالصمد بشأن عدد مرات ذكر اسم النبي محمد وكون القرآن منتجاً بشرياً من عدمه، عندما قال: "مسلمة عقلية مثل واحد زائد واحد يساوي اثنين"، ومسلمة شرعية، يعني الدين يقول كذا.

- ضرب عبدالصمد مثالا لاستخدام المسيحيين لكلمة محمد على أنها صفة مدح وليست اسماً، فيقول المسيحيون "محمد بن الله" أو "محمد عبدالله؛ للدلالة على أن كلمة محمد لها أصل مسيحي غير الذي يستخدمه ويعرفه المسلمون.

- اعتمد رشدي على ضرب مثل يوضح اقتراب بعض كلمات لغتين مختلفتين في النطق مثل كلمة Tall في اللغة الإنجليزية وكلمة "طول" في اللغة العربية، فرغم اقترابهما في النطق والمعنى، فإن ذلك لا يعني أن إحدى اللغتين تعد مشتقة من الأخرى.

- المنطق العقلي:

حاول كل من طرفي الحجاج استخدام الحجج المنطقية لإقناع المشاهد بموثوقية الطرح ووجاهة الفكرة محل الجدل، وقد بينت نتيجة التحليل في ذلك الأمثلة الآتية:

- حاول حامد عبدالصمد التدليل على بشرية القرآن من منطلق عقلي ترانبي من خلال فرض ما يأتي:

•فرضية ١: القرآن الكريم مأخوذ من اللغة العربية.

•فرضية ٢: اللغة العربية فرع من اللغتين السريانية والآرامية.

•الاستنتاج: القرآن مأخوذ من اللغتين السريانية والآرامية.

- استخدم عبدالله رشدي المنطق العقلي عندما أظهر بالأدلة التي عرضها أن الحجج التي طرحها حامد عبدالصمد فيها أخطاء بنيوية؛ وبالتالي ينهدم كل ما تأسس عليها، وقدم ذلك على أنه خلاصة لما تم عرضه من أدلة تفصيلية، مثال:

• فرضية ١: الادعاء يقول أن اللغة العربية مأخوذة من اللغة السريانية.

• فرضية ٢: ثبت بالدليل من مرجع معتمد في اللغة السريانية أن اللغة العربية أقدم من اللغة السريانية وأن كليهما من اللغات السامية.

• الاستنتاج: أطروحة الادعاء مضللة وغير علمية.

ج. الأساليب البلاغية في الخطاب الحجاجي:

تعددت الأساليب البلاغية المستخدمة في الحجاج حول قضية بشرية القرآن، وقد حاول كل طرف استثمار قدراته الحجاجية لإقناع المشاهدين، وكان ذلك على النحو الآتي:

- **الاستعارات:** استخدام عبدالله رشدي تعبير "سلطة حامد عبدالصمد" لتشبيه ما يقوله حامد عبدالصمد بالسلطة التي تؤكل، كناية عن العشوائية والاستدلال غير المنطقي وتداخل المعلومات فيما يخص حديثه عن تطور اللغات السامية، كذلك استخدام مصطلح "أم اللغات" في وصف اللغة العربية، كناية عن أن اللغة العربية لها السبق والأقدمية والتفوق على سائر اللغات السامية.

- **القصص:** استخدم حامد عبدالصمد قصة استخدام لفظ "محمد" وكيف كان يستخدمه المسيحيون العرب لتمجيد السيد المسيح.

- الأسئلة البلاغية: طرح كل من طرفي الحجاج تساؤلات بهدف جذب انتباه المشاهدين وتحفيز تفاعلهم مع المحتوى، مثل تساؤل حامد عبدالصمد: إيه الغياب دا؟! يعني غياب ذكر اسم النبي محمد في العهد المكي، وكذلك تساؤل عبدالله رشدي: هل فيه معيار علمي بيقول كدا؟ تنفيذًا لادعاء بشرية القرآن.

د. تحليل اتجاهات تعليقات المستخدمين حول قضية بشرية القرآن على يوتيوب:

جدول (٢) يوضح اتجاهات تعليقات المستخدمين على فيديو قضية بشرية القرآن

اتجاه التعليقات	العدد	النسبة %
مؤيدة	١٩٩٩	٧١.٣
معارضة	١٥١	٥.٣
محايدة	٦٥٠	٢٣.٢
المجموع	٢٨٠٠	١٠٠

جاءت معظم التعليقات التي بلغت ٢٨٠٠ تعليق في الجدول (٢) مؤيدة لطريقة التنفيذ التي تتبعها عبدالله رشدي في رده على ادعاء إبراهيم عيسى بشأن قضية بشرية القرآن؛ حيث بلغت نسبة التعليقات الإيجابية نحو ٧١.٣% وهي نسبة مرتفعة نسبيًا مقارنة بالتعليقات المعارضة التي تبلغ ٥.٣%، بينما جاءت نسبة التعليقات المحايدة ٢٣.٢%. واتجهت معظم التعليقات المؤيدة لدعم وتشجيع الشيخ عبدالله رشدي والدعاء له، وتأكيد أنه يقوم بدور كبير في الدفاع عن الإسلام، ومن تلك التعليقات: "أقسم بالله إنك تبرد القلب وتثلج الصدر بعلمك الواسع ما شاء الله تبارك الله.. علامة موسوعة"، وتعليق آخر "كلما سمعتك أغبطك علي علمك وطلاقتك وإخلاصك وأدبك مجتمعين.. جزاك الله كل خير وبارك لنا فيك شيخنا العزيز"، وطالبه البعض بالمزيد من تلك الحلقات للرد على الشبهات، مثال "نريد سلسلة حلقات خاصة شيخنا الفاضل للرد على الملحدين".

أما التعليقات المحايدة، فكانت كلها عبارة عن آيات قرآنية وأذكار عامة لا تحمل اتجاهًا محددًا يخص القضية المطروحة، مثل: "الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً"، وكذلك "اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين"، بينما جاءت التعليقات المعارضة منتقدة بعض النقاط، مثل: "ليس من حقك إهانة القومية السريانية

عندما تقول سريانية أو باذنجانية" .. هذه مشاكل بينكم لا دخل لنا كسريان بها وكما نحترم جيراننا العرب فنحن نتوقع أن يكون الاحترام متبادلاً"، كذلك تعليق ينتقد فكرة الجدل الديني على يوتيوب بشكل عام "هناك إحساس بالمواجهة لأجل المواجهة.. العمل الأكاديمي هو الأصل في هكذا قضايا".

ثانياً: تحليل الخطاب الحجاجي لقضية المعراج على منصة يوتيوب:

برزت قضية المعراج بصفقتها إحدى أكثر القضايا الدينية الجدلية قديماً وحديثاً، وقد اكتسبت أهمية لارتباطها بتشريع الصلوات الخمس؛ وبالتالي فإن التشكيك في حدوث المعراج هو تشكيك في حدث مرتبط بأهم ركن من أركان الإسلام، وقد تم طرح تلك القضية للنقاش من الصحفي إبراهيم عيسى^(٥) على قناة القاهرة والناس، وتم نشر الفيديو على قناة القاهرة والناس على يوتيوب بتاريخ ١٩ فبراير ٢٠٢٢، وتم الرد عليه في فيديو لعبدالله رشدي في اليوم نفسه ١٩ فبراير ٢٠٢٢، بعنوان: "لماذا ينكر إبراهيم عيسى المعراج؟".



شكل (٤) يوضح صورة غلاف الفيديو thumbnail الخاص بقضية المعراج

^٥ إبراهيم عيسى، صحفي مصري، ومقدم برامج في عدد من القنوات الفضائية ومحطات الراديو، ومن أشهر برامجه في قناة القاهرة والناس برنامج حديث القاهرة، وفي قناة الحرة برنامج "مختلف عليه"، وخصه لمناقشة القضايا الجدلية الخلافية في الإسلام، واستضاف فيه كل الأسماء المرتبطة باللايدنية والعلمانية، مثل حامد إبراهيم، وأحمد سعد زايد، وإسلام بحيري، وغيرهم، كما انعكس ذلك في تصريحاته الصادمة للمجتمع وكتاباتاته وبرامجه التي يقدمها، ومنها الحلقة التي تخضع للدراسة الحالية.

وقد حصد هذا الفيديو تفاعلاً كبيراً من المتابعين، حيث حقق أكثر من ٤١٠ آلاف مشاهدة، إلى جانب ٢١١٢ تعليقا، وتمت مشاركته على منصات التواصل الاجتماعي المختلفة بأعداد كبيرة، وأظهرت نتائج تحليل الفيديو باستخدام أداة تحليل الحجاج، ما يأتي:

أ. هيكلية بناء الخطاب الحجاجي:

- **الادعاء:** قدم إبراهيم عيسى ادعاءً أن المعراج حادثة وهمية وأنها لم تحدث، وأن كل ما يرتبط بها من أحداث لم تقع أصلاً: "ييجي يقولك الإسراء والمعراج! .. طب إيه رأيك إن مفيش معراج؟ هتصدق إن مفيش معراج؟ وكل قصة إنه طلع السما وشاف الناس بيصلوا والناس اللي في النار .. كل دي قصة وهمية كاملة".

- **الأدلة:** أشار إبراهيم عيسى إلى أن كتب السيرة وكتب التاريخ وكتب الحديث يؤكدون ادعاءه، وأنه لم يأت بهذا الادعاء من عنده، وإنما هي معلومات لها مراجع يمكن الرجوع إليها، لكنه في البداية لم يحدد مرجعاً بعينه، وإنما كان الكلام مرسلًا: "كل دي قصة وهمية كاملة.. دا كتب السيرة اللي بتقول... دا كتب التاريخ اللي بتقول.. كتب حتى الحديث اللي بتقول.. بس هو مصدر لك الكتب اللي بتقول حصل.. والقصص اللي بتقول حصل".

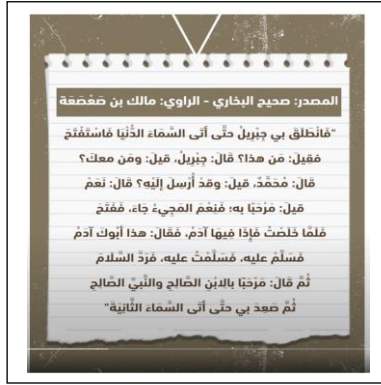
- **الحجج المضادة:** بدأ عبدالله رشدي بطرح الحجة الرئيسية المضادة للرد على ادعاء إبراهيم عيسى، مؤكداً أن المعراج جزء من اعتقاد المسلمين بجميع طوائفهم بمن فيهم الشيعة: "عقيدة المسلمين حتى الشيعة خلي بالكم أن النبي أسري به إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السماء".

- **التفنيد:** بدأ عبدالله رشدي بتفنيد الحجج المرتبطة بإنكار حادثة المعراج، ووضح الحجج المضادة على الترتيب على النحو الآتي:

• **حجة المعراج بين الرؤية المنامية والوقوع بالجسد والروح:** بدأ عبدالله رشدي في تفنيد الادعاء بأن المعراج لم يحدث بالكلية وأنه أوهم؛ حيث استتكر هذا الطرح وتساءل عن مصدره، ثم انتقل رشدي إلى تفنيد رأي بعض العلماء بأن حدوث المعراج لم يقع إلا رؤية منامية وأنه يستحيل أن يكون قد وقع بالجسد مطلقاً: "الكلام اللي بيقوله إبراهيم عيسى إن في مدارس إسلامية.. إن علماء آخرين أنكروا المعراج.. أنا مش عارف الكلام دا هوه بيحييه منين؟!.. هو كل القضية إن الخلاف حول هل المعراج حدث بالجسد والروح أم بالروح فقط وكانت رؤية منامية؟.. لكن محدش قال إن المعراج أوهم.. دا دجل وكذب من الأخ إبراهيم عيسى" - "الذين قالوا أن النبي عرج به منامًا ليس لديهم دليل.. النبي ورد عنه بنص كلامه

أنه عُرج به إلي السماء .. فلما هوه يقولي أنا عُرج بي إلى السماء.. أنا أصدقه ولا أصدق إبراهيم عيسى؟.. سيدنا النبي يقولك أنا طلعت السماء.. إنت مش مقتنع.. طب أنا أعملك إيه؟.

- **حجية النص الديني في مقابل الادعاء البشري:** وضع عبدالله رشدي حجية النص النبوي الشريف مقابل حجية ادعاء إبراهيم عيسى، وتساءل أيهما نصدق؟، في إشارة إلى أن الادعاء لا وزن له في وجود نص مروى عن الرسول، واستدعى رشدي حديثاً في صحيح البخاري- وهو أصح كتب الحديث الموثوقة عند المسلمين- ويحكي فيه النبي عن نفسه ويتحدث عن ما حدث في ليلة المعراج، ووضع نص الحديث على الشاشة، انظر شكل (٥).



شكل (٥) يوضح صورة عرضت في الفيديو كدليل إثبات الحجة المضادة

- **حجة أن المعراج لم يرد في القرآن صراحة:** انتقل عبدالله رشدي إلى تنفيذ حجة شهيرة مرتبطة بحادثة المعراج، وهي أن المعراج لم يرد في القرآن الكريم صراحة كما ورد الحديث عن الإسراء، وأن تلك الحجة ضعيفة لسببين؛ السبب الأول: أن القرآن الكريم ذكر المعراج في سورة النجم في أكثر من آية، والسبب الثاني: أن الاعتماد على القرآن فقط في التشريع أمر غير ممكن، فكل من القرآن والسنة مكمل للآخر، وقد ورد حديث صحيح عن النبي يقول فيه أنه عُرج به إلى السماء كما سبق بيانه: "في سورة النجم ربنا يقول ولقد رآه نزلة أخرى.. يعني سيدنا جبريل.. سيدنا النبي شاف سيدنا جبريل.. عند سدره المنتهى عندها جنة المأوى.. في سدره المنتهى؟ في الأرض؟ لا في السما.. ما زاغ البصر وما طغي.. يعني النبي كان شايف كل شيء بدقة بالمللي يعني واعى وصاحي تمام عشرة على عشرة".

وهنا وضع رشدي أمام المشاهد مقابلة حجبية الادعاء وحجبية النص الديني من القرآن والسنة الصحيحة؛ وذلك لإضعاف موقف الطرح المقابل، ولإظهار أن ما يثار من شبهات حول المعراج إنما هو رأي شاذ لا يستند إلى سند علمي؛ وبالتالي يكون هناك تشكيك في موثوقية الادعاء من أساسه: "الشيخ عندهم الذي قاله الله والذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم.. والرسول قال إنه عُرج به.. وفي سورة النجم ربنا قال كده.. فانت متجيش تقولي بأه محصلش.. حتى العلماء اللي قالوا إنه حصل منامًا رد عليهم جماهير العلماء.. ردوا عليهم ليه؟ بلطجة كده؟.. لا، ردوا عليهم علشان في آيات وأحاديث بتدل على دا.. هل أحاديث المعراج صحيحة؟.. أيوه صحيحة.. محدش طعن فيها ولا ضعفها".

• **حجة انتفاء معجزة المعراج:** ربط رشدي بين مقاربة الطعن في حدوث المعراج بالجسد ومحاولة نفي الإعجاز عن ما حدث؛ حيث إن كلا من الإسراء والمعراج ثبت في أفهام المسلمين أنهما من معجزات النبي، ولو كان عبارة عن رؤية منامية فقط، فسوف تنتفي صفة الإعجاز عنها: "لو كان هذا المعراج تم بالروح.. بالله عليكم كان إيه المعجزة اللي فيه يعني؟ مكنش هيكون فيه معجزة.. انتوا واخدين بالك من اللي بيحصل.. هو نفس عقائد المسلمين المستقرة.. تذويب لهذه العقائد" - "وبعدين نوهم الناس إن في علماء قالوا إن مفيش معراج وإنه وهم.. وإن العلماء دول معتبرين.. لا هم علماء ولا رأيهم معتبر.. إنما دا من التهويل الكاذب والتهويز الفارغ.. هناك قلة قليلة قالت إن المعراج دا تم بالروح.. وغالب العماء ردوا عليهم وقالوا لأ.. المعراج كان بالجسد والروح.. وتواتر المسلمون على ذلك".

التشكيك في نية صاحب الادعاء: طرح عبدالله رشدي تساؤلاً استنكارياً للتشكيك

في نية إبراهيم عيسى وعدّه جزءًا من مشروع أكبر يستهدف النيل من ثوابت الدين، وأن الهدف ليس فقط التشكيك في وقوع المعراج، وإنما هذا تمهيد لما هو آت، وهو إنكار الصلوات الخمس؛ لأن الصلاة شرعها الله في المعراج، والتشكيك في المعراج يترتب عليه التشكيك في الصلاة، وهو ما يستهدفه العلمانيون أو التنويريون: "إيه اللي مزعلهم في المعراج؟!... يعني اشمعنى الإسراء نازل عليكم كده حلو جميل والمعراج عامل ليكم قلق.. يكونش علشان المعراج اتفرض فيه الخمس صلوات وانتو بترموا لقدام إن إحنا لو أبطلنا المعراج ببأه بالتالي مفيش حاجة اسمها خمس صلوات.. يكونش الخبث والمكر والخديعة وقلة الدين وصلت بيكم للدرجادي؟!.. فاحنا لو قدرنا نقنع المسلم إن مفيش

معراج شويتين تلاته كده هنقدر نقنعه إن الصلاة دي فشنك؟! واستخدم رشدي صورة على الفيديو تلخص هذه الفكرة، انظر شكل (٦).



شكل (٦) يوضح صورة على الفيديو للربط بين إنكار المعراج وإنكار الصلاة

ب. استراتيجيات الحجاج:

استخدم كل من طرفي الحجاج في طرح القضية عددًا من استراتيجيات الحجاج العقلية والعاطفية؛ وذلك لإقناع الجمهور بوجاهة الطرح، وذلك على النحو الآتي:

- سُلطة الاحتجاج:

تفاوتت آليات الاحتجاج لدى الطرفين، وكانت على النحو الآتي:

- **النصوص الدينية:** غاب لدى إبراهيم عيسى استحضار الآيات أو الأحاديث التي تؤكد ادعاءه عدم ثبوت معجزة المعراج، وأنها محض وهم؛ حيث أشار إلى أن القرآن والأحاديث والسيرة النبوية جميعًا تؤكد ذلك؛ لتأكيد أن كلامه ليس من عنده، ولفرض قدسية ووجاهة على أطروحته، لكنه لم يستحضر أي دليل محدد يمكن الاحتجاج به، في الوقت الذي استعرض الطرف الآخر أدلة من القرآن ومن السنة وتقاسير العلماء لدعم تفنيده حجج إبراهيم عيسى، ومنها الآيات: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى﴾ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، وكذلك حديث البخاري الذي رواه مالك بن صعصعة، والمشار إليه في شكل (٥).
- **حُجِّيَّة الإجماع:** لجأ عبدالله رشدي لسلطة مصادر التشريع، ومنها الإجماع؛ حيث أشار إلى أن جمهور العلماء ردوا على من ادّعى أن المعراج حدث في رؤية منامية، حين

قال: "حتى العلماء اللي قالوا أن الذي حدث قد حصل منامًا، رد عليهم جماهير العلماء"، يعني أن هذا مجرد رأي ضعيف لا يُعتد به، وخارج على ما عليه الجمهور، وفي ذلك إشارة إلى مصادر التشريع في الفقه الإسلامي، وهي القرآن والسنة والإجماع والقياس.

- الاستمالات العاطفية:

- استخدم إبراهيم عيسى السياق الثقافي والميل النفسي لدى البعض نحو التشكيك في الروايات الدينية المستقرة، وخصوصًا في العقد الأخير الذي انطلقت فيه دعوات كثيرة لتجديد الخطاب الديني؛ حيث بنى على ذلك واستخدم لفظ "أوهام" لوصف ما يردده الشيوخ من حكايات، وقد يكون في ذلك محاولة لتكريس فكرة التشكيك في ما يُقال من رجال الدين، والتخويف من مؤامرات الطرف الآخر، إلى جانب الدعوة لإعادة التفكير في ما يظن المسلمون أنه مسلمّات.

- على الناحية المقابلة، استخدم عبدالله رشدي العاطفة الدينية لدى المسلمين وغيرتهم على دينهم، من خلال التشكيك في نوايا إبراهيم عيسى، وبيان أنها مؤامرة تُحاك للقضاء على ثوابت الدين مثل الصلاة، وأن إبراهيم عيسى له تاريخ من محاولات النيل من الدين والمتدينين: "أنا بس دابيًا بعرفكم الأفكار بتاعت الناس دي وبفهمكم الناس هم بيرموا لإيه علشان تبقوا انتوا عارفين وواعيين.. تبقوا عارفين هما بيقولوا كده ليه" - "شايغين الراديكالية والجهل اللي عند الفريق اللي بيسمي نفسه علماني أو تنويري! الحمد لله هما بيكشفوا نفسهم رويًا رويًا.. أسأل الله أن ينصرنا نصرًا مؤزرًا.. أسأل الله أن ينصر الحق وأهله.. وأن يخذل الباطل وحزبه".

- التمثيل:

عمد عبدالله رشدي إلى استحضار مثال لما قام به إبراهيم عيسى من قبل للتشكيك في ثوابت الدين، وأن الادعاء الحالي ليس جديدًا عليه؛ حيث تطرق لتعليقه على صورة الشاب الصيدلي الذي كان يقرأ القرآن من المصحف في صيدلية كان يعمل بها، وكذلك مناداته في إحدى الفعاليات لحذف خانة الديانة من بطاقة الرقم القومي، وحذف النصوص القرآنية من كتب القراءة بدعوى أن هناك طلابا غير مسلمين يدرسونها: "إبراهيم عيسى اللي قام يتنطط متضايق إنه شاف صيدلي يا عيني ماسك المصحف بيقرأ آيتين.. واللي قام في مؤتمر قبل كده بيطلب إلغاء خانة الديانة من البطاقة.. ونلغي الآيات القرآنية من كتب القراءة.. لما طلع

واحد مسيحي رد عليه.. وقاله إنا مش بندرس النصوص دي كنصوص دينية.. بندرسها كمرجع لغوي".

- المنطق العقلي:

- استخدم إبراهيم عيسى حجة قديمة حديثة مفادها أن سبب التخلف الذي وصل إليه العالم الإسلامي إنما هو بسبب الدين، واستخدم السياق الاجتماعي والظرف الاقتصادي المتراجع الذي تمر به معظم البلاد الإسلامية؛ حيث وجه المشاهدين إلى أن الشيوخ لا يمتلكون شيئاً نافعا يقدمونه، وعلينا أن لا نستمع إليهم: "الشيخ هيحكلك إيه؟ هيحكلك قصص!.. قصص وهمية!.. هيقولك إيه الشيخ! مهو الشيخ قاعد يقولك بقاله أربعين سنة.. حاجة تطورت؟.. حاجة اتقدمت؟".

وحاول بناء فرضية عقلية تؤكد حجية الطرح الذي يتبناه، وذلك في الآتي:

- فرضية ١: الشيوخ يخاطبون الناس منذ أربعين عاماً.
 - فرضية ٢: لم يحدث تقدم ولا تطور منذ أربعين عاماً.
 - الاستنتاج: إذن الشيوخ يدعون للتخلف وعدم التطور.
- حاول عبدالله رشدي الاعتماد على الاستنتاج المنطقي في تنفيذ ادعاء الطرف المقابل، والربط بين ما يُثار من تشكيك في معجزة المعراج وما يمكن أن يترتب عليه لاحقاً من التشكيك في مشروعية الصلوات الخمس، بوصفها فرضت في ليلة المعراج، وقد بنى الفرضية على الآتي:

- فرضية ١: التنويريون يشككون في ثبوت معجزة المعراج.
- فرضية ٢: المعراج فرضت فيه الصلوات الخمس.
- الاستنتاج: إذن التنويريون يشككون في مشروعية الصلوات الخمس.

ج. الأساليب البلاغية في الخطاب الحجاجي:

- الاستعارات:

- برزت الاستعارات في عرض الحجج المضادة وتنفيذ الادعاء، ومنها استخدام لفظ "دجل" لوصف ما يدعيه إبراهيم عيسى من عدم ثبوت حادثة المعراج، ولفظ دجل لا يُراد على

حقيقته الظاهرة، أي السحر والشعوذة، وإنما يُراد به هنا محاولة التلبيس على الناس، وإيهامهم أن ما يُقال هو صحيح، وهو ليس كذلك.

- كثر استخدام ألفاظ على غير معناها الظاهر على لسان عبدالله رشدي في ردوده الساخرة، ولا يراد بها معناها الأصلي، مثل "بطاطا" و "يَعْلَم على المسلمين" والمقصود الرد بطريقة ساخرة من الطرف المقابل، وقد لوحظ أن هذه إحدى سمات ردوده في معظم الحلقات.

- الأسئلة البلاغية:

- بدأ إبراهيم عيسى في طرح سؤاله الاستنكاري على المشاهدين لحثهم على إعادة التفكير في كل ما يقوله علماء المسلمين: "طب إيه رأيك إن مفيش معراج؟ هتصدق إن مفيش معراج؟" - "الشيخ هيحكلك إيه؟ هيقولك إيه الشيخ! مهو الشيخ قاعد يقولك بقاله أربعين سنة.. حاجة اتطورت؟ .. حاجة اتقدمت؟".

- ومن أمثلة التساؤلات التي طرحها عبدالله رشدي في تفنيده للقضية الجدلية: "إيه اللي مزعلهم في المعراج؟" - "فلما هوه يقولي أنا عُرج بي إلى السماء.. أنا أصدقه ولا أصدق إبراهيم عيسى؟".

د. تحليل اتجاهات تعليقات المستخدمين على فيديو قضية المعراج:

جدول (٣) يوضح اتجاهات تعليقات المستخدمين على فيديو قضية المعراج

النسبة %	العدد	اتجاه التعليقات
٧٦.٣	١٦١٢	مؤيدة
٢.٦	٥٦	معارضة
٢١	٤٤٤	محايدة
١٠٠	٢١١٢	المجموع

تشير بيانات جدول (٣) إلى أن معظم التعليقات جاءت مؤيدة للطرح والمعالجة التي اتبعتها عبدالله رشدي في تفنيده ادعاء إبراهيم عيسى بشأن قضية المعراج؛ حيث بلغت نسبة التعليقات الإيجابية نحو ٧٦.٣% وهي نسبة مرتفعة نسبياً مقارنة بالتعليقات المعارضة التي لم تتخط ٢.٦%، بينما جاءت التعليقات المحايدة بنسبة بلغت ٢١%، وكانت معظم التعليقات المؤيدة فيها خطاب تشجيع للشيخ عبدالله رشدي والدعاء له بالثبات والتأييد، مثل "يا سلام عليك والله ربنا يكثر من أمثالك يا شيخنا الجليل" وكذلك "ربنا يحفظك ويثبتك ويجعله في ميزان حسناتك"، أما

التعليقات المحايدة فكانت كلها عبارة عن آيات قرآنية ودعوات عامة لا علاقة لها بالموضوع المطروح للنقاش، مثل الدعاء لأهل غزة، أو "رطب لسانك بذكر الله"، بينما جاءت التعليقات المعارضة للرد على ما بعض ما طرحه عبدالله رشدي، متمثلة في: "يا شيخ عبدالله الإيمان بـ 90% من ثوابت الدين ليس كفرًا ولا ارتدادًا.. كل شخص يفهم ويقنع حسب عقله وثقافته وقلبه وفطرته"، في إشارة إلى أن الدين يفتح مساحة للاعتراض على بعض الثوابت بحرية، وأن هذا لا يعد كفرًا؛ وبالتالي لا حرج من اعتراض البعض على المعراج، وأيضًا تعليق آخر يرد على عبارة يرى جمهور العلماء، يقول: "كثرة العدد لا تدل على صحة الشيء، فمعظم الناس في جهنم.. ليسوا إذن أصح من أهل الجنة".

مناقشة النتائج العامة الدراسة:

بخصوص السياق العام للخطاب الحجاجي حول القضايا الدينية الجدلية محل الدراسة، يرى الباحث أن الاهتمام اللافت بهاتين القضيتين تحديداً قد يرجع لارتباطهما بأهم ما لدى المسلمين من ثوابت، فالقضية الجدلية الأولى ترتبط بالقرآن الكريم وهو أول مصادر التشريع الإسلامي، الذي يتعبد الناس بتلاوته في الصلاة، وفيه نزلت أحكام الإسلام؛ وبالتالي هناك حساسية لكل من يحاول التعرض له بالتشكيك أو الهجوم، ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي أثرت حول القرآن شبهات، ففي فترات تاريخية سابقة خرجت مناظرات حول بشرية القرآن، بدءاً من ما حكى عنه القرآن حكاية عن المشككين في أن القرآن جاء من عند الله، في قول الله: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ﴾ (الأنبياء: ٥)، وما أعقب ذلك في فترات زمنية لاحقة تزعمتها فرق مذهبية مثل الرافضة والباطنية وغيرهم، ولكن منصات التواصل الاجتماعي وفي مقدمتها يوتيوب جعلت هناك طفرة في حجم إنتاج المحتوى المتداول، وسمحت للكثيرين بإعادة إنتاج تلك الادعاءات والأطروحات الجدلية، مع ضمان سرعة واتساع الوصول لها والتفاعل معها.

وفي الوقت ذاته، فتحت البيئة الرقمية المجال لانتشار الحجج المضادة للرد على تلك الأطروحات الجدلية وتفنيدها، وقد ناسبت حالة الجدل سياسة منصة يوتيوب، التي تستهدف زيادة المشاهدات والتفاعل بين المستخدمين؛ وبالتالي يلقى المحتوى الديني الجدلي فرصة كبيرة نسبياً للانتشار والتداول، ومن أهم القنوات على منصة يوتيوب في العقد الأخير قناة الشيخ عبدالله رشدي، والتي وصل عدد المشتركين فيها إلى مليون وثمانمائة ألف مشترك وقت إجراء الدراسة، وكانت بداية شهرة القناة وتفاعل الناس معها مترامنة مع مناظرته الشهيرة مع الباحث

إسلام بحيري، التي كانت القضية الأكثر جدلاً عام ٢٠١٥، ودخل بحيري على أسرها السجن بعد مقاضاته من مؤسسة الأزهر الشريف بتهمة ازدراء الأديان، ثم أفرج عنه لاحقاً بعفو رئاسي. لكن الجدل الديني ظل يسري في موجات صعوداً وهبوطاً، وخصوصاً بعدما دعا الرئيس عبدالفتاح السيسي في احتفال وزارة الأوقاف بذكرى المولد النبوي الشريف في ديسمبر ٢٠١٥، دعا إلى ضرورة تجديد الخطاب الديني، في حضور شيخ الأزهر، ووزير الأوقاف، ومفتي الجمهورية، وعدد كبير من الرموز الدينية؛ مما أعطى الضوء الأخضر لفتح النقاش في كل القضايا المرتبطة بالتراث الديني وعلاقتها بالتطرف والإرهاب، وشمل ذلك إعادة النظر في موثوقية النصوص الدينية بما في ذلك كتاب صحيح البخاري وغيره، وهو ما اهتمت به عدد من الدراسات، منها دراسة Mustafa (2021)، ودراسة Barak (2022)، وغيرهما من الدراسات التي اهتمت برصد دور الأزهر في تجديد الخطاب الديني في العقد الماضي وخصوصاً بعد ثورة يناير ٢٠١١.

ومن خلال العرض السابق لنتائج تحليل الحجاج للقضايا الدينية الجدلية على يوتيوب خلال عام ٢٠٢٢، التي تمحورت حول قضيتين أساسيتين هما: قضية بشرية القرآن، وقضية المعراج؛ حيث حازتا مساحة كبيرة نسبياً من تفاعل المستخدمين وحققتا مشاهدات هي الأعلى مقارنة بباقي القضايا الجدلية الأخرى، وهو ما أكدته نتائج الدراسة الاستطلاعية التي اعتمدت عليها الدراسة لاختيار عينة التحليل، ويمكن أن نجمال النتائج العامة في ما يأتي:

- فيما يتعلق بأكثر استراتيجيات الحجاج استخداماً، توصلت الدراسة لميل أطراف الحجاج في القضيتين لاستخدام كل من استراتيجية "سلطة الاحتجاج"، ثم استراتيجية الاستمالات العاطفية، وتقدمت هاتان الاستراتيجيتان على بقية استراتيجيات الحجاج المستخدمة، فبخصوص "سلطة الاحتجاج" جاءت أغلب الأدلة التي قدمها صاحب الحجة المضادة في القضيتين من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا يحقق تفوقاً نسبياً في الحجة، وإن كان هناك اختلاف في تفسير بعض النصوص غير قطعية الدلالة، وهو ما فتح المجال للتشكيك في قضية المعراج وفقاً للرواية القرآنية في سورة النجم، لكن تقوية الدليل بحديث صحيح كان له أثر في تغليب سلطة الاحتجاج في القضيتين.
- استخدم كافة أطراف الاحتجاج "الاستمالات العاطفية" التي تستهدف بناء التعاطف والتأييد من المشاهدين للطرح، فقد أظهرت نتائج التحليل أمثلة لاستخدام عبارات محددة بطريقة إلقاء صوتي محددة يستخدمها كل طرف لكسب تأييد المتابعين وثقتهم

فيما يُقال ويُعرض، مثل التخويف من الطرف الآخر، وتكريس حالة غضب نحو تيار محدد متأمر، واستمالة الفضول والرغبة في إزالة الغموض، وغيرها من الاستمالات العاطفية المستخدمة.

- بخصوص تحليل أدلة الخطاب الحجاجي حول قضية بشرية القرآن، نستخلص أن الادعاء لم يركز على دعائم علمية لها ارتباط مباشر بالادعاء، وإنما اعتمد على دليلين يخضعان للاستنتاج والتحليل الشخصي أكثر من كونهما ينتميان إلى الحقائق العلمية الموثقة، فقد بدأ بحجة عدد مرات ذكر لفظ "محمد" في القرآن المكي والمدني لإثبات أن القرآن مؤلف بشري في العهد المدني، ثم انتقل بعدها لتحليل لفظ "محمد" وبيان أنها كلمة سريانية؛ مما يشير إلى أن القرآن دخلت فيه اللغة السريانية، وأنه ليس بلسان عربي مبين كما يدعي نبي الإسلام.
- فيما يتعلق بالحجاج حول قضية المعراج، بنى إبراهيم عيسى ادعاءه على فرضية الأوهام التي يروجها علماء الدين، المرتبطة بالتخلف، ومارس قدرًا من التظاهر بالمعرفة ببواطن الأمور من خلال طرحه الادعاء بصيغة المفاجأة التي لم يكن يتوقعها أحد عندما تساءل "طب إليه رأيك إن مفيش معراج! هتصدق إن مفيش معراج؟"، ولكنه في الوقت ذاته لم يقدم أدلة أو دافعًا لإثبات ادعاءه في الحلقة التي تم تحليلها.
- استثمر صاحب الحجة المضادة البناء غير المترابط للادعاء لدحض الأطروحتين بالتدليل على بطلانهما، وذلك باستحضار آيات قرآنية وأحاديث نبوية ومراجع علمية؛ مما أعطى تفوقًا معرفيًا Epistemological Hegemony لصاحب الحجة المضادة، ومكنه من كسب تأييد المشاهدين وتعاطفهم، كما وضح في حجم التفاعل والتعليقات.
- فيما يتعلق بفاعلية الحجاج Argumentation Effectiveness فيرى الباحث أنه رغم التفوق المعرفي المتحقق لصاحب الحجج المضادة في تفنيد الأطروحتين الجدليتين، ورغم فارق الاستدلال المنهجي والتدليل المعرفي لصالحه، فإن التحليل رصد استخدامًا زائدًا للأسلوب الساخر الذي يستهزيء بصاحب الادعاء، كما يتسم أسلوب أداء عبد الله رشدي أحيانًا بحدة الهجوم على الطرف الآخر، وقد يميل هذا الأسلوب إلى كسب الشعبية واستمالة مشاعر المتابعين، وقد لقي بالفعل تأييدًا واضحًا بالنظر إلى اتجاهات تعليقات المتابعين.

- بالنسبة للاستنتاج المرتبط بتحليل اتجاهات تعليقات المستخدمين، تبين أن التعليقات تباينت ما بين مؤيد ومحايد ومعارض، وإن كان معظمها يميل نحو الاتجاه المؤيد بشدة لصاحب الحجة المضادة، وكانت معظمها عبارات دعم ودعاء بالنصر على أعداء الدين، وقد تكون العناوين المستخدمة في نشر فيديوهات صاحب الحجة المضادة، وكذلك تصميمات الجرافيك المستخدمة في لـ thumbnails لفيدويوهات الردود، مع استخدام عبارات عاطفية لاستمالة مشاعر المستخدمين الغيورين على دينهم، كل ذلك كان له دور في تأطير الطرح والطرح المضاد كأنها معركة مشتعلة بين الخير والشر. فيرى الباحث أنه ينبغي ألا يُحكم العمل الديني على يوتيوب بالاعتبارات الشعبية وكسب تعاطف وتأييد المتابعين، ففي معالجة القضيتين محل الدراسة كان يمكن التوقف عند التقيد العلمي وطرح الردود العلمية دون استخدام عبارات فيها شيطنة لصاحب الادعاء، أو دون استخدام نبرة سخرية منه، أو اللجوء إلى ألفاظ شعبية، مثل "سريانية وبتجانية" أو "المعراج دا كده بطاطا"؛ لأن هذا قد لا يتسم مع الانطباع عن وقار رجل الدين، ويرى الباحث أن بقاء الانطباع الجيد لدى المشاهد لا يقل أهمية عن كسب جولة الحجاج معرفيًا، وخصوصًا أن رجل الدين يجب أن يهتم بمراعاة الجوانب الأخلاقية المرتبطة بأداب الحوار، وبسماحة رجل الدين ووقاره، والميل نحو الموضوعية والترفع عن السخرية أو المساجلة الشخصية، فالعبرة ليست بكسب السجال الحجاجي فقط. كما أن الاعتماد على التلويح بنظرية المؤامرة على الإسلام التي استخدمها صاحب الحجة المضادة في أكثر من موضع في تفنيده للادعاء في القضيتين، قد لقي تأييدًا شعبيًا كبيرًا في التفاعل والتعليقات، إلا أن ذلك قد يكون غير منصف منهجيًا وعلميًّا، فكل تيار قد يرى أن التيار الآخر يتربص به ويتآمر عليه، ومساحة السجال الفكري ستظل موجودة كما كانت من قبل، وخصوصًا بعد وجود منصات مثل يوتيوب، ولا سيما السجال المرتبط بالموضوعات الجدلية التي فيها مساحة للأراء لغياب النصوص القطعية الثبوت أو القطعية الدلالة.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- بحيري، دعاء صلاح. (٢٠٢٢). دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل اتجاهات الشباب نحو جهود الدولة في مكافحة الإرهاب. مجلة بحوث كلية الآداب. جامعة المنوفية، ٢٥(١).
- بوغازي، رحمونة، وعامر، بن سعيد. (٢٠٢٢). البعد التداولي في الخطاب الديني دراسة في ضوء النظرية الحجاجية. مجلة الآداب واللغات. ٢٢(١)، ٢٦٨-٢٧٧.
- الشربيني، عبير فتحى محمد إبراهيم. (٢٠١٩). استراتيجيات الإقناع المستخدمة في معالجة القضايا الجدلية المقدمة عبر برامج المناظرات التلفزيونية بالتطبيق على برنامج "أجرأ الكلام". المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان، (١٧)، ٤٤٣-٥٢٤.
- عبد النبي، السيد محمد، والصعيدى، دعاء عبد الحكم عبد اللطيف. (٢٠٢٢). آليات الحجاج في الحوار الإعلامى الإسلامى مع المخالفين من المسلمين حوار عبد الله بن عباس مع الخوارج نموذجاً (مقاربة حجاجية تداولية). مجلة الزهراء، ٣٢ (٣٢)، ١٤٥٣-١٤٨٢.
- عواد، وليد محمد الهادى. (٢٠٢٠). معالجة الصحف المصرية لقضايا الخطاب الديني: دراسة في تقنيات الحجاج. المجلة العربية لبحوث الإعلام والاتصال، كلية الإعلام، جامعة الأهرام الكندية، ٢٨(١).
- فارح، محمد. (٢٠٢٢). المقاصد الحجاجية في الخطاب الديني مقارنة تداولية حجاجية في خطب الإمام علي بن أبي طالب. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مجلد ١٨(١)، ٢٤٤٧-٢٤٥٩.
- محروس، رحاب محمد. (٢٠٢١). المناظرات الإسلامية المقدمة عبر قنوات اليوتيوب وعلاقتها باتجاهات الدعاة دراسة تطبيقية نقدية. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Abdelraouf. E. M. (2019). A critical analysis of the dialectic science-religion relationship in popular science show discourse. *Arab Media and Society*, 2019(28), 30-50.
- al-Qaradawi, Y. (2013). *Islamic Awakening Between Rejection and Extremism*. International Institute of Islamic Thought.
- al-Rawi, A. (2016). Online Reactions to the Muhammad Cartoons: YouTube and the Virtual Ummah. *Journal of Arab & Muslim Media Research*, 9(2), 125-142.
- Apuke. O. D. (2016). Exploring the issues in media ownership and control in Nigeria. *New Media and Mass Communication*, 55, 12-15.
- Barak, M. (2022). Al-Azhar as a key player in countering the radical ideology of global Jihad. In *Politics of Change in Middle East and North Africa since Arab Spring* (pp. 54-69). Routledge.
- Barthes. R. (2016). The death of the author. In *Readings in the Theory of Religion* (pp. 141-145). Routledge.
- Bunt, G. R. (2018). *Hashtag Islam: How Cyber-Islamic Environments Are Transforming Religious Authority*. University of North Carolina Press.
- Campbell, H. A. (2010). *When Religion Meets New Media*. Routledge.

- Cheong, P. H. (2013). Authority and Agency in Religious Conflicts: A Study of Discourse in Digital Media. *Media, Culture & Society*, 35(4), 491-510.
- Dawkins, R. (2016). *The selfish gene*. Oxford university press.
- Dawkins. R.. & Ward. L. (2006). *The god delusion* (pp. 40-45). Boston: Houghton Mifflin Company.
- El-Nawawy, M., & Khamis, S. (2012). *Political and Civic Engagement: New Media and Participatory Culture in the Arab World*. Palgrave Macmillan.
- Elsässer. S. (2021). Arab non-believers and freethinkers on YouTube: Re-negotiating intellectual and social boundaries. *Religions*, 12(2), 106.
- Erduran. S.. Guilfoyle. L.. & Park. W. (2022). Science and religious education teachers' views of argumentation and its teaching. *Research in Science Education*, 52(2), 655-673.
- Faust, J. (2008). Can religious arguments persuade?. *Ethics of Belief: Essays in Tribute to DZ Phillips*, 71-86.
- Habermas, J. (2006). Religion in the Public Sphere. *European Journal of Philosophy*, 14(1), 1-25.
- Hofheinz, A. (2011). Nextopia? Beyond Revolution 2.0. *International Journal of Communication*, 5, 1417-1434.
- Hoover, S. M. (2012). *The Media and Religious Authority*. Penn State University Press.
- Juergensmeyer, M. (2023). *The new cold war?: Religious nationalism confronts the secular state* (Vol. 5). Univ of California Press.
- Lövhelm, M. (2013). Religious Socialization in a Media Age. *Nordic Journal of Religion and Society*, 26(2), 123-139.
- Macagno, F., & Salvato, L. (2022). Argumentation and the interpretation of religious texts. *Journal of Argumentation in Context*, 12(1), 2-18.
- Mitchell, J. (2014). Religion, Media, and the Digital Turn: A Guide for Scholars. *Social Compass*, 61(4), 482-494.
- Mustafa. A. S. (2021). *Al-Azhar's Renewal of Religious Discourse and Power after the 2011 Egyptian Revolution* (Master's thesis, University of Kansas).
- Perelman. C.. & Olbrechts-Tyteca. L. (1958). *Traité de l'argumentation* (Vol. 1). Presses universitaires de France.
- Perelman, C., & Olbrechts-Tyteca, L. (1969). *The New Rhetoric: A Treatise on Argumentation*. University of Notre Dame Press.
- Pickering. J. (2019). *The search for meaning in psychotherapy: Spiritual practice, the apophatic way and Bion*. Routledge.
- Sreberny, A. (2015). Media and Political Change in the Digital Age: The Case of the Arab Spring. *Media, Culture & Society*, 37(2), 250-266.
- Tindale, C. W. (2004). *Rhetorical Argumentation: Principles of Theory and Practice*. SAGE Publications.
- Van Eemeren, F. H. (2018). *Argumentation Theory: A Pragma-Dialectical Perspective*. Springer.
- Wenzel, J. W. (2006). Three Perspectives on Argument: Rhetoric, Dialectic, Logic. In R. Trapp & J. Schuetz (Eds.), *Perspectives on Argumentation: Essays in Honor of Wayne Brockriede* (pp. 9-26). Waveland Press.
- Wernick. A. (2000). *Auèuste Comte and the religion of humanity* (pp. 3788-3788). University of Toronto.